مثل غيري . وكانت تقول هذا القول على غاية الدعة والبساطة "

توفيت في مدينة باريس في غرة ابريل سنة ١٨٩٩ وكان الاحتفال بدفنها بسيطاً جدًّا واحتفل بجنازتها في اماكن كثيرة في اوربا واميركا

ومن صدقاتها المعروفة

٤٠٠٠٠٠	جنيه	لجمعية الاستعمار اليهودية في لندن
٤٠٠٠٠٠	"	للجمعية الخيرية الاسرائيلية في باريس
٤٠٠٠٠٠	"	معاشات لمستخدمي سكة الحديد الشرقية
٢٠٠٠٠٠	"	ليهود بودابست
١٢٠٠٠٠	"	لجمعية الاوصياء في لندن
١٢٠٠٠٠	"	لمدرسة هرش في جاليسيا
١٢٠٠٠٠	"	لجمعية الاحسان في فينا
٠٨٠٠٠٠	"	لبناء مستشفى للاولاد المسلولين في الرڤيرا
٠٨٠٠٠٠	"	لبناء ملجاء للنساء الشريفات اللواتي افتقرن
٠٧٠٠٠٠	"	لدار الناقهين في مستشفى هستد بلندن
٠٤٠٠٠٠	"	لجمعية الاحسان

هذه الصدقات الكبيرة اما الصدقات الصغيرة التي تقلّ الواحدة منها عن عشرين الف جنيه فكثيرة جدًّا و يبلغ مجموع ما تصدّقت به هي وزوجها اكثر من خمسة وعشرين مليون جنيه كما تقدّم ولعلها كل ثروتهما او اكثرها

هذا هو الكرم الحميد وهذه هي المناقب التي يفتخر بها الرجال والنساء . والرجل وزوجته شرقيان من بني اسرائيل من ارض فلسطين ولو كانت اوربا دارهما ومسقط رأسيهما

رواية أمينة

الفصل السابع

نهضتُ في الصباح وانا مصابة بصداع شديد حتى لا اكاد استطيع الوقوف . فقد مرَّ عليَّ ليل لا اطول منهُ كنت احاول فيهِ جمع افكاري فاراها كالفرس الجموح . ونهضتُ مئة مرَّة من سريري اذ كنت افكّر بكلمة سمعتها او حركة رأيتها ممَّا تتألم لهُ النفس ثم احاول ان امحو ذلك من ذهني فلا اجد الى محوهِ سبيلاً . ولم يكن يمر امام ذاكرتي الاَّ صوَر المشهد الاخير الذي

شهدتهُ البارحة . وجعل ضميري يوبخني توبيخاً شديداً وكنت اقول في نفسي لماذا لم ارفض طلبهُ بتاتاً لماذا ابحتُ لهُ ان يحبني لماذا لم اقل لهُ اني احب داود ولو كذباً فان اقتراني بذلك الرجل اسهل كثيراً من وقوعي في هذه الورطة وبهِ يُمنع ما وقع الآن من الشقاق بسببي في عائلة كانت عائشة على تمام الوئام لولاي ثم كنت احب زوجي على تمادي الايام . ولكن قلبي كان ينفر من ذلك كلما خطر ببالي واردت اقناع نفسي بهِ

ولما اذَّن الظهر قُرع باب غرفتي فنهضت وفتحتهُ وقلبي يخفق واذا انا بكنجه فقالت ألا تزالين صائمة قلت نعم وامسكتُ بيدها كمن تستغيث بها حاسبة انهُ لم يبقَ احد يفتكر بي غيرها وقلت لها لا اظنك صدَّقتِ كلام بوار

فقالت لا ادري لان الورقة وُجدت تحت عتبة الباب فكيف وُجدت لو لم تكن بوار صادقة

فقلتُ هي نفسها وضعتها هناك . ثم قصصتُ عليها قصة ذهابنا الى الساحر والورقة التي اخذتها منهُ . فلما اتممتُ قصتي امسكت يديَّ بيديها وقالت لي يا مسكينة اني ارثي لحالكِ واخاف ان الامور لا تنتهي هنا . فقد امرتني هانم افندي ان آخذكِ الى غرفة القلفة وارى ادهم بك جالساً معها لا يفارقها ولولا ذلك لكان الله يعلم ما فعلتُ بكِ

فقلت لها وما يقول ادهم بك

فقالت لا يقول شيئاً بل ترك الذهاب الى الديوان وبقي في غرفة امهِ يكتب فيها لكي لا يدع لها فرصة الابقاع بكِ على ما اظن

فارتعدت فرائصي لكنني تجلَّدتُ وقلتُ لها ألم يقل نصر الله باشا شيئاً لنافذ بك . فقالت بلى لكن لم اسمع شيئاً مما قالهُ لهُ وبقي نافذ بك في غرفة ابيهِ مدة ثم مضى الى غرفتهِ . واليوم قاما صباحاً وخرجا معاً . والظاهر ان نافذ بك يعلم ان اخاهُ يقيكِ من امهِ فاختار ان يبتعد عنها الآن ولما خرج امرتْ ان تنقل امتعتهُ كلها من دار الحريم الى السلاملك لكي ينام هناك من الآن فصاعداً ولا اعلم هل فعلت ذلك على علم من الباشا او على غفلة منهُ وامرت الاغوات (الخصيان) ان يمنعوهُ من دخول دار الحريم

فصرختُ "أإلى هذا الحد"

فقالت نعم ولا بدَّ من انهُ يغتاظ من ذلك غيظاً شديداً والآن تعالي معي والاَّ لم اخلص من لومها ولا تظني اني نسيتكِ اذا كنتُ لا ازوركِ لان زيارتي لكِ الآن تضرني ولا تنفعكِ

فقبَّلتها شاكرةً فضلها ومشيت معها الى غرفة القلفة وكانت هذه في غرفتها فنهضت وقالت لي ابقي هنا وكان يجب على هانم افندي ان تحبسكِ في القبو . قالتْ ذلك وخرجتْ واقفلت

الباب فاقفلتهُ انا من الداخل ايضاً

ومرَّت ساعة بعد اخرى وانا احسُّ بثقل عظيم على صدري واعجب كيف لا ينصدع فؤادي . والظاهر ان ادهم بك لم يترك غرفة امهِ والاَّ ما تركتني كل هذه المدة . ولم يؤذَّن المغرب حتى كدت اجن من القلق والكآبة . وبعد ساعة من الزمان اتت كنجه وقرعت الباب ففتحت لها فادخلت اليَّ طبقاً عليهِ صحاف الطعام وهي تقول ان ادهم بك سأل عما اذا كنت افطرتِ فقالت لهُ زوجتهُ كلاَّ فامرني ان اتيكِ بهذا الطعام ولم تجسر هانم افندي ان تمنع ذلك في حضرة الباشا

وحاولتُ ان آكل شيئاً فلم استطع واخيراً شربت بعض المرق وشكرتها . وسألتها قائلةً هل عاد نافذ بك فقالت نعم اتى دار الحريم واخبرهُ الاغوات بامر امهِ . فقلت لها وماذا قال لهم . فقالت لا شيء لان نفسهُ الابية تأبى عليهِ ان يظهر الذلَّ امام العبيد . فقلت لها وهل علم نصر الله باشا بذلك وهل هو مستصوب لهُ . فقالت نعم على ما يظهر وهوَ مستخفٌّ بالامر ويقول ان كتابكِ سيكتب على داود بعد اسبوع من الزمان فينتهي الاشكال

فسكتُّ لاني كنتُ اكرهُ التزوج بداود واغتظت من المعاملة التي عومل نافذ بك بها ووددت ان يفعل شيئاً يظهر شهامتهُ وانهُ مغتاظ من هذه المعاملة

ووقفت كنجه ترتب الصحاف على الطبق وكانها تريد ان تقول لي شيئاً وهي تزن كلامها خوفاً من عواقبهِ ثم قالت لي يا امينة انتِ اعقل من ان تعتقدي ان نافذ بك يقترن بكِ . فقلتُ نعم اعلم ان ذلك محال

فقالت ان ولية هانم سيدتي ويجب عليَّ ان اطيعها ولكنها مخطئة في عملها وقد كتبت الى نافذ بك تخبرهُ عنكِ تقول لهُ انها تحب ان يقترن بكِ فكتب اليها هذه الورقة فاعطتني اياها لآتيكِ بها لانها لا تستطيع ان تأتي اليكِ بنفسها . قالت ذلك واعطتني ورقة وهذه اول رسالة كتب بها نافذ بك اليَّ ففتحتها وقرأتها واذا هو يقول فيها

عزيزتي امينة . اخبرتني وليَّة انهُ لم ينلك اذًى وقد كنتُ واثقاً بذلك ما دام ادهم بك يقيك . وسأكلم ابي الليلة واتوسل اليهِ ان يأذن لي باقترانهِ بكِ فاذا اذن اضطررت امي ان تسلم لهُ واذا ابى أرسل اخبرك غداً صباحاً . وغداً الجمعة يكون الخدم في الجامع فارسل اليكِ مفتاح باب الحريم فتفتحينهُ وتخرجين من غير ان يراكِ احد واكون انا بقاربقي عند الرصيف فتمضي الى بيت واحد من اصدقائي ويكون القاضي في انتظارنا هناك فيكتب كتابنا ومتى كُتب الكتاب بطل كل اعتراض

نافذ

هذه اول رسالة حبية كتب بها اليَّ رسالة شغل مختصرة واضحة الاشارة والدلالة لكنها كانت عندي اثمن من كل ما يكتبهُ العشَّاق من بث الاشواق لاني كنت اعلم حبهُ لي ولا اريد عليهِ دليلاً

ولما قرأت الرسالة قالت لي كنجه لا تصدقي مواعيدهُ لان ليس في يدهِ شيءٌ ما دام ابوهُ غير راضٍ ولا تزدادين الاَّ تعباً

فلم اجبها وخرجتُ واغلقت الباب . ومضت ساعة زمانية وانا انظر في هذه الرسالة مترددة بين ان اطيع قلبي وحبي لكاتبها او عقلي وما يجب عليَّ لامهِ . وقلت في نفسي انهُ يحبني ويحسبني اهلاً لاكون قرينة لهُ وقد رضي بالاهانة لاجلي فهل يليق بي ان اظهر العتو وانغص عيشهُ وعيشي لان اباهُ وامهُ لا يستصوبان اقترانا . واشكل الامر عليَّ فلم اعلم وجه الصواب لاتبعهُ . وكنت حديثة السن قليلة الاختبار ووددتُ لو اجد من اثق بهِ فيشير عليَّ بما يجب ان افعلهُ . وبعد جدال طويل بين عقلي وقلبي غلبت المحبة فنهضت عازمةً ان افعل ما طاب مني . وكان يخطر ببالي ان نصر الله باشا ربما يسلم بطلب ابنهِ ولكني لم اعتمد على ذلك بل عزمت افعل ما يأمرني بهِ قلبي وامسكت الباب فوجدت ان كنجه لم تقفلهُ حينما خرجت كانها لم تكن تستطيع ان تمنع نفسها عن مساعدتي

ولما سكنت الاصوات وعلمت ان الجميع خرجوا الى البستان قلت في نفسي اني اخرج الآن وامضي الى غرفتي واجلب منها فرجيتي ففتحت الباب رويداً رويداً وخرجتُ فسمعت ادهم بك يقول وهو واقف في الرواق امام البيت ان الباشا يحب عزَّت باشا ويحب ان يعيد الصداقة القديمة فيزوج عطيَّة لنافذ . فاسرعت الى غرفتي واخذت منها فرجيتي ويشمكي وكانت غرفة نافذ بك امامها وهي خاوية خالية فاثر فيَّ منظرها تأثيراً شديداً وقبل ان ابعدت عنها كثيراً سمعت وقع الخطى على السلم فعلمتُ ان هانم افندي صاعدة لاني اعرف وقع خطاها ولم استطع ان اعود الى غرفتي ولم ارَ لي مهرباً الاَّ من باب يفتح الى السلاملك ولم يكن لي وقت لافكر واتردد فدخلت من هذا الباب حالاً ولم اكد ادخلهُ حتى رأيت هانم افندي مارَّة امامي بقامتها الطويلة ووراءها بوار . فلما وقع نظري عليهما ارتعدت فرائصي لاني لو تأخرت لحظة لوقعتُ في يديهما وقُضي عليَّ . وقبل ان يطول تفكري في ذلك سمعتُ صوت نافذ بك فصرت كلي آذاناً لاني حسبتهُ هناك آتياً لخلاصي لكن خاب ظني لانهُ لم يكن هناك وكنت في ممرٍّ ضيق يؤدي الى السلاملك وفيهِ باب يوصل الى غرفة فيها نصر الله باشا فوقفت حيث كنت ورأيت نصر الله باشا جالساً امام مائدة عليها اوراق كثيرة ونور المصباح على وجههِ

وكان عابساً مقطب الجبين ولم ارَ غيرهُ حينئذٍ في الغرفة ثم سمعت نافذ بك يقول لهُ انا اعلم يا مولاي انهُ لا يليق بي ان اتكلم معك في امر الحب والزواج ولكن لما رأيت امي ابت ان تصغي اليَّ ورأيتك فتحت الموضوع معي فارجو انك تغتفر هذه الجرأة مني وقد اخبرني اغا بك (اي اخوهُ الاكبر) انهُ جاءهُ مكتوب من اختي تتكلم فيهِ عن ابنة حميها وتشير بان اقترن بها فقلت اني لا اريد الاقتران بابنة عزّت باشا

فقال لهُ نصر الله باشا انت حرٌّ لترفض الاقتران بها وانا لا اقدر ان اغصبك على هذا الاقتران ولا اريد ان افعل ذلك لو قدرت عليهِ . وغاية ما اطلبهُ منك ان تبطل ما ابديتهُ حديثاً من الميل لامينة لكي لا توقع بها ضرراً فان طيشك سيجعل امك عدوةً لهذه البنت ولو لم يبقَ ادهم في الحريم اليوم لندمت على الساعة التي رأتك فيها . وادهم لا يستطيع ان يحرسها دائماً ولا انا واثق ان اوامري تُتبع حرفياً اذا امرتهم ان لا يلحقوا بها اذًى

فقال نافذ بك ولكن لماذا يلحقون بها الاذى وماذا يمنع اقتراني بها فانك ازوجت اختي وليهٔ بعلي بك وهو ياور شركسي فلا اظنك تأنف من تزويجي بامينة . كلاَّ كلاَّ اقدم (لان نصر الله باشا تهيأ للكلام) انا اعرف ما تريد ان تقولهُ لي وهو ان الشراكسة والشركسيات شذوذ عن القانون ولكن كم من رجل من الاعيان اقترن بابنة لقيطة لا يُعرف ابواها وجدتها امرأة وتبنتها وربتها فلنفرض ان امينة ابنة لقيطة وقد تبنتها امي وحقاً انها ربيت في بيتنا كأنَّ امي تبنتها وليس لها اب ولا ام حتى تخجل بهما اذا اتيا الينا فلا ارى وجهاً لحرمانكما اياي مما اعدهُ السعادة الوحيدة لحياتي

وصمت نصر الله باشا يفكّر في الامر ورأيت نافذ بك حينئذٍ وكان متكئاً على كرسي وعلى وجههِ امارات الاهتمام الشديد . ثم قال نصر الله باشا ان المسألة يا ولدي ليست ما يقولهُ الناس ولو كنتُ اعلم ان راحتك تتوقف على الاقتران بامينة ما كنت اتأخر لحظة عن التسليم اذ اقدر ان اجعل الناس يقولون كما اشاء لان المال والمقام يفعلان كل شيء في هذا الزمان بل اقدر ان اسلّم باقترانك بفتاة مسيحية ولا اخشى انتقاد احد. فقال نافذ بك وهذا هو التسليم بعينهِ يا ابي فهل ترتاب في اني احبها واود الاقتران بها من كل قلبي

فقال ابوهُ نعم ارتاب في ذلك لان الزواج عند الاتراك لا يتوقف على الحب وانا لست من اهل الزمان القديم حتى امنعك من الكلام على المحبة امامي ولكن انتَ نفسك آخذت نفسك لما اشرت الى المحبة عالماً انها لا تستحق ان تكون موضوعاً للبحث والخلاف . فانت الان مفتون بهذهِ الفتاة وهذا شيء زائل يوجد اليوم و يزول غداً فلا تنتظر مني ان اغيظ امك لكي

اجاريك على اهوائك

فصمت نافذ بك وقد قطب جبينهُ وقدحت عيناهُ شررًا ثم قال لابيهِ اتحسب اذًا يا مولاي ان سماحك لي بما اعدهُ اعظم سعادة لي في هذه الحياة وبما يجعلني اشكرك عليهِ مدى العمر لا يستحقُّ ان يذكر في جانب غيظ امي

ولم يكد يتم كلامهُ حتى ارتفع حاجبا نصرالله باشا وعقد الغيظ في جبينهِ اسرارًا فقال لهُ بعُجب وخيلاء ان شكرك لي لا قيمة لهُ في عيني ما دام عاريًا من الاحترام الواجب ولا انتظر لك سعادة من الاقتران بفتاة كانت فاتحة تعلقك بها ما اراهُ من قلة الاحترام لوالديك

فقال نافذ بك حالاً العفو يامولاي العفو فاني لم اقصد قط ان اقلل من احترامي لك ولا انا مجنون حتى اغيظ ابي وليس لي صديق غيرهُ في هذا الوقت ولكن اذا كانت حياتي كلها تتوقف على ما يقرُّ قرارك عليهِ هذه الليلة فلا تعجب اذا رأيتني مهتمًّا بهِ الى هذا الحد

فتبسم ابوهُ قليلاً وقال اني اصدّق انك مهتم بهذا الامر الآن وانك تكلمني فيهِ بالجد لا بالهزل ولكني لا اصدق انك تبقى على ذلك طويلاً

فقال ابقى طول حياتي ولا اغير وان غيرت

فقال ابوهُ وان غيرت فعلى من تدور الدائرة على تلك المسكينة بعد ان تكون قد جرحتَ امك جرحًا لا تبرأُ منهُ واوقعت الشقاق والخصام في بيت ابيك فاسمع ما اقول لك كان يمكنني ان اقول لك من اول الامر اني لا اريد ان تتزوج بها ولكنني فضلت ان ابا حثك لكي اقنعك بفساد رأيك

فقال وان كنت لا اقتنع

فقال ابوهُ لا بد من ان تقتنع ولا يبرح من بالك انك لست حرًّا لتفعل ما تشاء وان سلطتي عليك غير محدودة

فصمت نافذ بك ولم يجب بكلمة ولكن لاحت على وجههِ لوائح النفور والعصيان ونظر ابوهُ اليهِ مستفسرًا وكأنهُ لحظ ذلك ولم يرد ان يوسع الخرق

وشعرت حينئذٍ بحرج الموقف الذي كنتُ فيهِ موقف التنصُّت على الناس سرًّا وبكَّتني ضميري على ذلك واردت الرجوع الى دار الحريم فسمعت لغطًا كثيرًا فيها لان الجواري كنَّ يضعن المائدة في دارها ولذلك لم اجد لي سبيلاً الى الخروج من حيث كنت واعدت نظري الى الغرفة التي امامي وانا اكاد اذوب خجلاً من نفسي لاني حسبتني ملومة باستماع ما اسمعهُ على هذه الصورة . فسمعت نصرالله باشا يقول لابنهِ " اشرتَ الآن الى اني افضل مرضاة امك

على راحتك الدائمة وهذا خطأ لانني ان كنت اراعي مرضاة امك فيكون ذلك لعلاقتها بامينة لا بك ولابي لانك اذا تزوجت بهذه الابنة المسكينة على غير رضى امك حسبتها عدوة لها وانتقمت منها . افتكر بما يمكن ان تفعله بها وقل لي أيجوز لك ان تضحي هذه المسكينة ارضاء لاهوائك

فقال نافذ بك حينما تصير زوجتي فانا اقدر ان احميها ولا يحتمل ان امي تسيء الى كنتها ولا انت ترضى بذلك

فصمت نصرالله باشا مدة وظهر عليه الغيظ والاندهاش ثم التفت الى ابنه وقال له اني استغرب جداً كيف عشت في الحريم كل هذه السنين ولا تعرف ما يجري فيه فانهُ لو لم يرسل لها ادهم الطعام مع جاريته الخاصة كان قضي عليها الليلة

فاقشعرّ بدني وارتعدت فرائصي حينما سمعتهُ يقول ذلك . وخطر ببالي حينئذٍ ان السم اسهل علاج يلجأ اليه في الحريم ويقال ان هانم افندي تخلّصت من كثيرات على هذه الصورة وقلت في نفسي هو يخشى اذاً من ان تقتلني سماً

وصمت نافذ بك بضع دقائق ثم قال بصوت منخفض . متى تزوجت بها يترتب عليّ ان اقيها من كل شرّ ولا تتعذّر عليّ وقايتها حينئذٍ

فقال ابوهُ بغيظ شديد انا لا ارضى بذلك ولا اظنك احمق الى هذا الحد حتى تعصي امري

فصمت مدة وكانت الجواري تضحك وتجلب في دار الحريم وانا سجينة في تلك الغرفة ثم سمعتهُ يقول بصوت مرتجف رنّان

اني احبها حباً شديداً حتى اجسر ان اخالف امرك واقترن بها. الله يعلم اني لا اريد ان افعل شيئاً الاّ بامرك ورضاك ولكن اذا كنتُ لا استطيع ان استرضيك فلا حيلة لي

فاجابهُ ابوهُ بالازدراء والاحتقار لك ان تفعل ما تشاء ولكن لا يكون لومك الاّ على نفسك فانك يوم تقترن بها لا تعود تدخل بيتي ولا ترى وجهي بل وتربة اجدادي لا تعود ترى هذه البلاد . اقترن بها وانظر ما يحلّ بك يوم تقترن بها ترسل الى اليمن ولا تعود الى هنا ما دمتُ حيًّا . قد حذّرتك فاختر لنفسك. ولست اسألك كيف تستطيع ذلك لاني واثق انك قد دبّرت التدابير اللازمة ولا يهمني معرفتها

ولما كنت اصغي الى هذه الكلمات التي قطعت حبال آمالي ونسفت اماني نسفاً سمعت واحداً يمشي في الممشى فاختبأت خلف الباب المفتوح واذا بعبد اسود مرّ امامي الى الغرفة التي فيها نصرالله باشا ودعاهُ الى الطعام فقام وتبعهُ وكان الى جانبي باب آخر يفتح الى غرفة اخرى فدخلت

منهُ واختبأت فيها ودخل نصرالله باشا واقفل باب السلاملك وراءهُ وخرج نافذ بك من الغرفة ونزل الى الدار السفلى

وجعلت افكّر في ما سمعتُ ورأيتُ فصمَّمتُ على ان لا اقترن بنافذ بك الاَّ برضى ابيهِ لانهُ قادر ان يفعل كل ما تهدِّدهُ بهِ ومع ما كنت اراهُ فيهِ من الشهامة وكرم الاخلاق كان مستبدًّا برأيهِ لا يتجاسر اولادهُ على معصيتهِ . وكنت اعلم ان ما يحتملهُ الضباط في بلاد اليمن من المشاق وشظف العيش لا يستطيع نافذ بك احتمالهُ لانهُ لم يعتد الاَّ رفاهة المعيشة

ولما صممت هذا التصميم شعرت بقوة جديدة في نفسي ولم اعد افكّر في ما يأول اليهِ امري وما تكون عاقبتهُ عليَّ لاسيما وانني كنت حينئذٍ في موقف ينسى الشجاع عندهُ شجاعتهُ فجعلتُ افكّر في ان سبيل النجاة قد سدَّ في وجهي باقفال باب السلاملك وانهُ ربما يُرسل العشاء اليَّ الآن فلا اوجد في غرفة القلفة فيعلم امري . وبقيت نصف ساعة افكر في طريق للنجاة فلا اجد واخيرًا سمعت واحدًا صاعدًا على السلم ثم اقترب نحو الغرفة التي كنت فيها ووقف هو ورجل آخر عند بابها ثم سمعت صوت نافذ بك يقول ألست عازمًا على دخول الحريم الآن فاجابهُ اخوهُ كلاَّ لأنَّ معي اوراقًا لا بدَّ من النظر فيها وانا ادخن سيكارة قبل المدفع ثم افترقا فاشعل ادهم بك سيكارتهُ ودخل الغرفة التي كنت فيها وتلمَّس فيها حتى وجد طاولة في وسطها فاشعل عود كبريت اضاء بهِ شمعةً عليها ووقف وظهرهُ متجهًا اليَّ وانا واقفة مكاني لا ادري هل اخرج قبل ان يراني وابقى في الممشى الى الصباح او اتجاسر واتقدَّم اليهِ واطلب مساعدتهُ . وقبل ان اصمم على امر من الامرين دار ليأتي بكرسي يجلس عليهِ فوقعت عينهُ عليَّ فوقف مبهوتًا كأنهُ يرى خيالاً ثم دنا مني ووضع يدهُ على كتفي كأنهُ لم يصدق عينيهِ وقال اميمة أأنتِ هنا ما اتى بك الى هنا

فلم اجبهُ ولم استطع الجواب بل انطرحت على كرسي بجانبي واجهشت في البكاء فوقف امامي وقفة الحيرة ثم قال لي لماذا لم تناديني ان كنت محتاجة الى شيء فقد بقيت في البيت النهار كلهُ مخافة ان تحتاجي الى شيء فلا تجدي من يلبي نداءك ولم استحسن ان آتي اليكِ من تلقاء نفسي . الم يكن الأليق بكِ ان تناديني الى غرفتك من ان تأتي لتريني هنا

فقلتُ لهُ اني لم آتِ لاراك هنا ولكنني اود ان اتكلَّم معك على كل حال . ثم صمتُّ ونظرتُ في وجههِ وكنت اتوسم فيهِ دائمًا سمات الشهامة والفضل واثق بهِ تمام الثقة اما الآن فرأيتهُ فوق ذلك كلهِ رأيتهُ الرجل الوحيد الذي يمكنني ان اعتمد عليهِ في ساعة الشدَّة واطلعهُ على كل ما في ضميري . ولما خطر على بالي هذا الخاطر كدت اذوب خجلاً وقلت في نفسي

كيف اطلعهُ على ما انا فيهِ لكنني تجلدت لاني لم ارَ امامي سبيلاً آخر واطرقت راسي وجعلت اقصُّ عليهِ قصتي من حين اتتني رسالة نافذ بك واخبرتهُ بما سمعتهُ منهُ ومن ابيهِ

فاصغى اليَّ صامتاً ولم يفُه بكلمة ولما اتممتُ قصتي اخذ يمشي في الغرفة ذهاباً وايابًا وانا اسائل نفسي قائلةً لعلَّهُ اغناظ مني لعلَّهُ اغناظ من عزمي على الهرب مع اخيهِ ولم اكد اتصوَّر ذلك حتى شعرت كأن الدم حرق وجهي والعرق تصبب من جبيني فوددت ان تشق الارض وتبتلعني . وعاد بعد قليل ووقف امامي وقال لي اني ارثي لكِ من كل قلبي فقد كنت اظن انك تحبين داود . لا يحمر وجهك فانك لم تفعلي شيئًا يستحَى منهُ . هلمي نمعن نظرنا في الامر قلتِ ان ابي تهدَّدهُ بالنفي اذا اقترن بكِ . فاطرقتُ رامي علامة الجواب لانني لم استطع الكلام وصمت هو مدةً ثم قال اودُّ من كل قلبي ان اساعدك ولكني لا ارى سبيلاً . يستحيل عليهِ ان يقترن بكِ من غير رضى ابي ولا افهم كيف يخطر ببالهِ ان ذلك ممكن . ولقد اخطأ في تهديدهِ ابي لانهُ لم يبقِ لي وجهًا لاسترضائهِ يومًا من الايام وقد كان استرضاؤهُ صعبًا قبل هذا التهديد لانهُ لا يغير رأيهُ بسهولة فكيف يمكن استرضاؤهُ بعد الآن .

ولما رأيتُ انهُ لم يبقَ لي باب للرجاء قلتُ لهُ ألا يمكن ان اخرج من هنا اينما ارسلتني ارسلني لكي ابعد عن هذا المكان

فلم يقل شيئًا بل نظر اليَّ والكآبة على وجههِ وعاد الى الطاولة وكتب كتابًا وجيزًا ثم دنا مني وقال اني اعرف حرج الموقف الذي انتِ فيهِ وما يمكن ان ينالكِ من الاذى من امي لو بقيت هنا ولو كنت لا تستحقين شيئًا من ذلك ولا لوم عليك بل اللوم كلهُ عليّ وحدي ولكن يوجد مكان يمكنك ان تمضي اليهِ فقد كتبت اليَّ اختي سنية تطلب مني ان ارسل اليها واحدة تساعدها في تربية اولادها وهي مثل اختك لان جدتكِ ربتها فتستريحين عندها وتسرين بها وانا أؤكد لكِ انها تلاقيك على الرحب والسعة

فقلت هذا احسن شيء ثم صمت بغتةً لانهُ خطر ببالي ان نأفذ بك ربما يتبعني الى هناك وكأنهُ قرأ افكاري فقال لي اذا قبلتِ مشورتي فخير لكِ ولهُ ان يبقى ذهابك مكتومًا عنهُ ولا يعلم احد الى اين ذهبتِ الاَّ ابي ثم فتح ساعتهُ وقال لم يضرب الموقع حتى الآن ولا يزال ابي مستيقظًا اتريدين ان اذهب واخبرهُ . فقلت نعم اذهب لوجه الله ولكن خذني معك الى غرفتي . فوقف وعلامة الشك في وجههِ وقال لا اظن ذلك ممكنًا لان امي لا تزال مستيقظة والخدم في الدار والاحسن ان تبقي هنا . فقلت لهُ وكيف تعتذر عن وجودي هنا . فقال اليس لكِ ثقة بي فقلت بلى لي كل الثقة وقبل ان اتم كلامي خرج واقفل الباب وراءهُ . البقية تأتي